جامعـــة الأزهـــــر
كليـــة اللغـــة العـربيـــة بأسيـوط
المؤتمر الدولي السابع

سرد الأتاي ... دراسة سوسيولوجية في تماهي الهوية المغربية والخليجية

إعداد

د / عبد الحكيم الزبيدي
الإمارات العربية المتحدة

المؤتمر الدولي السابع لكلية اللغة العربية بأسيوط٢٠٢٦م
التواصل المعرفي بين المشارقة والمغاربة وأثره في العلوم الإنسانية
الجـزء الأول ١٤٤٧هـ /٢٠٢٦م

سرد الأتاي .. دراسة سوسيولوجية في تماهي الهوية المغربية والخليجية

د/ عبد الحكيم الزبيدي

الإمارات العربية المتحدة

البريد الإليكتروني: *abeeralmalky986@gmail.com*

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تلخيص أهم ما جاء في كتاب سرد الأتاي، وبيان منهجه في تناول مادته، ومناقشة أبرز القضايا التي أثارها، مع الإشارة إلى إضافاته النوعية في مجال الدراسات الأدبية. كما يسعى إلى تقديم صورة عن الهوية المغربية تخالف الصورة النمطية في أذهان كثير من المشارقة عن المغرب مع موازنتها بالهوية الخليجية. يقدم الباحث تمهيدًا حول أدب الرحلة في التراث العربي القديم والمعاصر، ثم يحاول تجنيس الكتاب بين أدب الرحلة وأدب السيرة الذاتية. ومن ثَمَّ يستعرض الباحث أهم الخصائص الأدبية لأسلوب الكاتب، ثم يستعرض صورة الآخر في كتاب سرد الأتاي، ويركز على تقديم صورة عن مرتكزات الهوية المغربية، موازناً بينها، عند الحاجة، وبين الهوية الخليجية. وقد رصد الكاتب العديد من السمات الإيجابية في الهوية المغربية، كما ذكر بعض المظاهر السلبية التي رصدها.

الكلمات المفتاحية: المغرب، الخليج، الهوية، أدب الرحلة، أدب السيرة الذاتية.

Sard al-Atāy Atay ... A Sociological Study in the Convergence of Moroccan and Gulf Identities

Abdul Hakim Al-Zubaidi

United Arab Emirates.

E-mail: *abeeralmalky986@gmail.com*

Abstract:

This study aims to summarize the main ideas presented in the book "Sard al-Atāy", explain the author's methodology in addressing his material, and discuss the key issues he raises, while also highlighting the book's distinctive contributions to literary studies. It further seeks to present an image of Moroccan identity that differs from the stereotypical view held by many people in the Levant and the Gulf, while placing it in comparison with Gulf identity. The researcher offers an introduction to travel literature in both classical and modern Arabic heritage, then attempts to classify the book within the genres of travel writing and autobiography. He then reviews the major literary features of the author's style, followed by an analysis of the representation of the "Other" in "Sard al-Atāy". The study focuses on presenting the foundations of Moroccan identity, comparing them—when necessary—with Gulf identity. The author records numerous positive attributes of Moroccan identity, while also noting certain negative aspects he observed.

Keywords: *Morocco, Gulf, identity, travel literature, autobiography.*

١. مقدمة

يُعَدّ أدبُ الرحلة والسيرة الذاتية من أكثر الفنون الأدبية قدرةً على استكشاف الذات والآخر في آنٍ واحد؛ فهو حقلٌ يجمع بين متعة السرد، وثراء التجربة الإنسانية، وعمق التأمل في العالم. ومع تطور المناهج النقدية الحديثة، اكتسب أدب الرحلة والسيرة الذاتية أبعادًا معرفية وجمالية جديدة، فاكتملت صورتهما كوثيقتين أدبيتين وثقافيتين تضيئان علاقة الإنسان بالمكان والزمن والذاكرة.

ويأتي هذا البحث ليقدّم قراءةً في كتاب سرد الأتاي، رحلة خليجي في المغرب للدكتور علي عبد القادر، قراءةً تحليليّة تسعى إلى الكشف عن رؤية المؤلّف، وأدواته المنهجيّة، وموقع كتابه ضمن خارطة الدراسات المعاصرة في أدب الرحلة والسيرة الذاتية. فالكتاب الذي نعرض له لا يقتصر على تقديم مادة وصفية عن الرحلات أو السيرة الذاتية، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ يتناول البنية السردية لهذه النصوص، وتمثلات الهوية فيها، وكيفية تشكّل الوعي بالذات وبالآخر من خلال الأسفار والتحولات الحياتية.

١.١. أهمية الموضوع

تأتي أهمية الموضوع في أنه يتناول تماهي الهوية الخليجية والمغربية، من خلال سرد أدبي يرصد مظاهر الهوية المغربية ويصفها موازنًا بينها وبين الهوية الخليجية.

١.٢. إشكالية البحث

يهدف هذا البحث إلى تلخيص أهم ما جاء في كتاب سرد الأتاي، وبيان منهجه في تناول مادته، ومناقشة أبرز القضايا التي أثارها، مع الإشارة إلى إضافاته النوعية في مجال الدراسات الأدبية. كما يسعى إلى تقديم صورة عن الهوية المغربية تخالف الصورة النمطية في أذهان كثير من المشارقة عن المغرب مع موازنتها بالهوية الخليجية.

١.٣. الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث إلا على دراسة واحدة فقط تناولت الكتاب، وهي دراسة الباحث السعودي الدكتور نايف بن رشدان بن عتيق الهجلة، بعنوان: شعرية خطاب الرحلة في السرد المعاصر: "سرد الأتاي" للكاتب الإماراتي علي عبد القادر أنموذجاً[١]. وقد اقتصر البحث حول دراسة شعرية اللغة وبناء الخطاب في نص "سرد الأتاي" وذلك من خلال بحث مسألة الجنس الأدبي في هذه الرحلة، من حيث أبعاده الفنية والدلالية ذات العلاقة بالشكل والمضمون. ولم يتطرق الباحث لمسألة الهوية وهو ما تحاول هذه الدراسة القيام به.

١.٤. المنهج

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء النصوص الأدبية المتصلة بأدب الرحلة في "سرد الأتاي" واستخلاص ما يتعلق بالهوية المغربية وتماهيها مع الهوية الخليجية.

١.٥. خطة الدراسة

اقتضت طبيعة البحث أن تقسم الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. في المقدمة تم التعريف بأهمية الموضوع وإشكالية البحث ومنهجه والدراسات السابقة وخطة الدراسة. وتناول التمهيد تعريف أدب الرحلة وتتبع مسيرته باختصار. أما المبحث الأول فقد تناول تجنيس كتاب "سرد الأتاي"، وهل هو من أدب الرحلة أم من أدب

---

[١] – الهجلة، نايف بن رشدان بن عتيق: شعرية خطاب الرحلة في السرد المعاصر: "سرد الأتاي" للكاتب الإماراتي علي عبد القادر أنموذجاً، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا–جامعة الأزهر، مج ٢٦، ج ٤ (ديسمبر، ٢٠٢٢م، ص ٤١٩٣

السيرة الذاتية. وتناول المبحث الثاني صورة الآخر في كتب أدب الرحلة، وتناول المبحث الثالث صورة الآخر في كتاب "سرد الأتاي". أما المبحث الرابع والأخير فقد تناول الخصائص الأدبية لكتاب "سرد الأتاي"، وجاءت الخاتمة لتلخص أهم نتائج الدراسة.

٢. تمهيد

عرف العرب الترحال منذ القديم، وجاب الرحالة العرب كل أرجاء المعمورة في أزمانهم، ودوّنوا ملامحها الإنسانية والاقتصادية والمعمارية والثقافية والجغرافية، وخدموا العلم والفتوحات الإسلامية، وحفزوا الخيال وأعانوا الحكام وفتحوا أمام الدارسين آفاقاً جمّة[١].

ويمكن تعريف الرحلة بأنها "كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجًا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وإنجاز الرحلة –كتابتها– يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة"[٢]. ولكي تسمى رحلة ينبغي أن تتوفر فيها القصدية، ونعني بها قصدية الرحلة التي تقتضي الذهاب والإياب، وقصدية الكتابة التي تقتضي سرد الرحلة[٣]. "ولابد لكل رحلة

---

[١] – حمود، خضر موسى محمد: أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م، ص ص ٩–٢١

[٢] – روباش، جميلة: أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، إشراف الأستاذ الدكتور أمحمد بن لخضر فورار، ٢٠١٥م، ص ٨

[٣] – حمود، خضر موسى محمد: أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، مرجع سابق، ص ١٧

مكتوبة من سفر حقيقي وفعلي، ولا يمكن تصور كتابه رحلية دون رحلة إلا في الرحلات الخيالية، كـ"رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري"[١].

وقد نشأ عن تدوين الرحلات ظهور ما يعرف بأدب الرحلات، و"هو نوع أدبي يقوم على وصف الأديب لما شاهده في رحلاته، من عمران، وأحداث، وأشخاص، وعادات، وتقاليد، وغيرها"[٢]. "فالرحلة إذن: خطاب تنشئه ذات مركزية، هي ذات الرحالة، تحكي فيه أحداث سفر عاشته وتصف الأماكن المزورة، والأشخاص الذين لقيتهم، وما جرى معهم من حديث، وغايتها من هذا الحكي إفادة القارئ وإمتاعه"[٣].

وبهذا يُعد أدب الرحلة جنساً أدبياً قائماً بذاته له مميزاته وخصائصه واستقلاله، الذي يمنعنا من إدخالها ضمن الجغرافيا أو الأدب الجغرافي أو ضمن التاريخ، أو ضمن الفن القصصي، "بيد أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام القول بخلو كتب الرحلات من كل هذه المعارف، لكن وجود بعض المعلومات التاريخية لا يجعلها مؤلفاً في التاريخ، ولا وجود بعض الإفادات الجغرافية يجعلها كتاباً في الجغرافية وهلم جراً"[٤].

وإذا تتبعنا مسار أدب الرحلة في الأدب العربي نجده قد مر بمرحلتين أساسيتين هما:

المرحلة الأولى: كانت انطلاقها منذ القرن الثالث للهجرة مع ابن يعقوب من خلال

---

(١) – روباش، جميلة: أدب الرحلة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص ٨

(٢) – المرجع السابق، ص ٢١، نقلا عن: إميل يعقوب، سيام حركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، عربي– إنجليزي– فرنسي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧ ، ص ٢٥

(٣) – المرجع السابق، ص ٢٢

(٤) – المرجع السابق، ص ص ١٣–١٤

كتابه كتاب البلدان، الذي قام برحلات كثيرة امتدت إلى الهند، وبلغت أقصاها غرباً برحلته إلى بلاد المغرب والأندلس [١].

المرحلة الثانية: عاش العرب فترة ظلام دامس على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والعلمية خلال القرن العاشر الهجري ١٦م، الأمر الذي جعل هذه الفترة عقيمة وراكدة من حيث الرحلات. إلا أنه سرعان ما عادت الرحلات العربية إلى نشاطها شيئاً فشيئاً خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري ١٧-١٨م[٢].

وتنقسم الرحلات إلى عدة أقسام، بحسب الهدف منها، وقد أوصلها بعض الدارسين إلى ١٥ قسماً[٣]، وسنكتفي بذكر أهمها، وهي: الحجازية: وهي ما توضع بعد زيارة الأماكن المقدسة، السياحية: وهي التي تكون السياحة غايتها، الدراسية: وهي التي يتغرب فيها الرحالة لطلب العلم، الزيارية: وهي التي يقصد أصحابها زيارة أضرحة الأولياء ومشاهدهم، السياسية: وهي التي ترجع إلى قضايا سياسية بين بلدين، العامة وهي ما جمعت كثيراً من الأهداف التي ذكرنا، مثل التجارة.

٣. تجنيس كتاب "سرد الأتاي"

إذا طبقنا التعريف السابق على كتاب أدب الرحلة "سرد الأتاي"، سنجده من كتب أدب الرحلة بامتياز. فقد جاء محتواه "مزيجاً من الانطباعات الذاتية والآراء الشخصية

---

[١] – حميد، بن حاج أحمد، يوسف، أحمد: أدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات، رحلة الحسين الوثيلاني أنموذجاً، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري، إسراف الدكتور كيلاني مسعود، جامعة أحمد دراية-أدرار، الجزائر، ٢٠٢١م، ص ١٤

[٢] – المرجع السابق، ص١٧

[٣] – حمود، خضر موسى محمد: أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، مرجع سابق، ص ١٩-٢١

التي أرادت أن تكون واقعية إلى أبعد حد، لاسيما أن كاتبها جنح إلى استقراء التاريخ ورصد مكونات الجغرافيا، وعمل – أيضًا – على استنطاق معالم المدن المغربية من منظور أفق شعري سردي يتناص مع المادة المعرفية الواردة في أمهات مصادر تاريخ المغرب والأندلس وإفريقيا، وذلك عبر رسم طبوغرافيا وصفية لآثار المدن المغربية ومعالمها التاريخية، ولأسواقها وقصورها وجوامعها وجامعاتها"[١].

وتعد الرحلة التي يصفها الكتاب رحلة دراسية، حيث دون الكاتب انطباعاته ومشاهداته عن المغرب خلال المدة التي قضاها فيها يحضر للدكتوراه في اللغة العربية في جامعة محمد الخامس بالرباط.

وقد صاغ الكاتب رحلته بأسلوب أدبي سردي متميز، "وعلى ذلك أمكن لنا أن نستنتج كيف أنّ نص "سرد الأتاي" – من جهة مكوناته البنيوية – يبدو نص أدب رحلة، لاشتماله على المقومات السردية الخطابية لأدب الرحلة، من جهة صيغ الحكي والوصف واستعادة ذاكرة المكان وجوانب من تاريخه".[٢]

وفي الوقت نفسه فإن كتاب "سرد الأتاي" يعد من كتب السيرة الذاتية بامتياز أيضاً. فقد وصف الكاتب رحلته لتلقي العلم في المملكة المغربية في سرد أدبي يحكي الحوادث والوقائع التي جرت له، ويروي تفاصيل تخص حياته الأسرية، واهتماماته الأدبية، ولقاءاته بالشخصيات العلمية والسياسية المهمة التي تعرف إليها خلال إقامته في

---

[١] – الهجلة، نايف بن رشدان بن عتيق: شعرية خطاب الرحلة في السرد المعاصر: "سرد الأتاي" للكاتب الإماراتي علي عبد القادر أنموذجاً، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا–جامعة الأزهر، مج ٢٦، ج ٤ (ديسمبر، ٢٠٢٢م، ص ٤١٩٣

[٢] – المرجع السابق، ص ٤٢٠٨

المغرب. وبهذا يتبين لنا أن نص "سرد الأتاي" مثّل شكلًا من أشكال الكتابة عن الذات ضمن جنس أدب الرحلة، فهو بمعنى ما "سيرة ذاتية"[١]. وبهذا جمع الكاتب في كتابه بين أدب السيرة الذاتية وأدب الرحلة في تماه وتفاعل عجيبين يتوازيان والتفاعل الماثل بين الهويتين المغربية والخليجية.

٤. صورة الآخر في كتب أدب الرحلة

يقوم أدب الرحلات على وصف دقيق لعادات وتقاليد البلد الذي يزوره الرحالة، ويدوّن أدق الملاحظات عنه. وهو بهذا العمل يقدم صورة متكاملة عن الآخر الذي يختلف عنه في الثقافة والعادات والتقاليد وربما في الديانة أيضاً. "ويتمظهر الآخر في صورة عند الراوي قبل انطلاق الرحلة من خلال السماع، وهي صورة احتمالية تترسخ عن طريق الحكي والقراءات في كتب التاريخ والجغرافيا، وصورة بعدية إما ترسخ الاعتقاد أو تنفيه وهي تقوم على المقارنة بالأنا"[٢].

"والآخر في أكثر معانيه شيوعاً يعني شخصاً آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحّدة، وبالمقارنة مع ذاك الشخص أو المجموعة أستطيع أو نستطيع تحديد اختلافي أو اختلافنا عنها"[٣]. "وكل شخص هو آخر بالنسبة لأيّ شخص على وجه الأرض"[٤].

---

[١] – المرجع السابق، ص ٤٢١٣

[٢] – روباش، جميلة: أدب الرحلة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص ٦٧

[٣] – داود، هناء: صورة الآخر في أدب الرحلة، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة أنموذجا، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج (٨، ع (١، أفريل ٢٠٢٤م، ص ١٥١

[٤] – المرجع السابق، ص ١٥١

٥. صورة الآخر في كتاب "سرد الأتاي"

إذا كان الآخر في معظم كتب الرحلات العربية هو "المختلف في الدين والانتماء والجنس"[١]، فإننا نعني بالآخر هنا الشخصية المغربية العربية المسلمة، المختلفة في ثقافتها وعاداتها وتقاليدها ولهجتها عن ذات الكاتب الذي يمثل المشرق العربي وبالتحديد دول الخليج، كما أشار إلى ذلك الكاتب في العنوان "رحلة خليجي في المغرب".

وسنحاول في هذه المقاربة، تتبع صورة الآخر في كتاب "سرد الأتاي" للكاتب الإماراتي علي عبد القادر، وذلك من خلال رصد الصور الإيجابية وتلك السلبية التي رسمها الكاتب للآخر، ونعني بها هنا الشخصية المغربية. "ومما تحسن الإشارة إليه في هذا السياق أن الموقف من الآخر يتحدد بحسب شخصية الرحالة ومزاجه وطبيعته وتكوينه العلمي والثقافي"[٢]. "بمعنى أن الكاتب عندما يصف الآخر، موضوع الرحلة، إنما ينطلق من ذاته، ومما يشكل أناه، أي من الأنساق الثقافية التي تتشكل منها تلك الأنا[٣]". وبما أن الكاتب، كما يبدو من طرحه، متمسك بقيم الإسلام وشعائره، فقد تمثلت الظواهر الإيجابية لديه في مدى مطابقتها لقيم وشعائر الإسلام، وعلى النقيض منها تمثلت الظواهر السلبية.

حرص الكاتب أن يكون كتابه "شهادة حق في المغرب"[٤]، حسب تعبيره، يصحح

---

[١] – المرجع السابق، ص ن

[٢] – العبيدي، ليلى: ملامح من صورة الآخر في نماذج من أدب الرحلة القديم، مجلة فضل الخطاب، مج (١١، ع (١، مارس ٢٠٢٢م، ص ١٥٠

[٣] – بلعربي، جمال: التعبير عن الأنا من خلال وصف الآخر في أدب الرحلة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد (٩، عدد (٤، السنة ٢٠٢٠م، ص ٣٧٦

[٤] – عبد القادر، علي: سرد الأتاي، رحلة خليجي في المغرب، مركز القارئ العربي للنشر والتوزيع، ←←←

فيها الصورة النمطية المرتبطة في أذهان أهل المشرق عن المغرب. ونراه يصحح كثيراً من الأقوال الشائعة عن أهل المغرب، كقوله عن ساحة الفنا في مراكش: "وبها أقدم ساحة في العالم وهي ساحة جامع الفناء، التي حذرني منها بعض الدارسين ممن يجلسون في المنزل ولا يعرفون من المغرب إلا الجامعة والفندق، فقالوا إنها أرض السحرة والمشعوذين، وساحة السارقين والمحتالين، لا تقف فيها لأحد، لا لرجل أو امرأة أو ولد، سوف تسمع من يناديك باسمك دون معرفة، وترى من يخبرك عن مستقبلك مستشرفًا، فاحذر الوقوع في شرك الشرك، فهو الهلاك بلا شك». إلا أنني وللأمانة أقول لم أجد في هذه الساحة إلا ساحة مهرجان وترفيه وفرجة شعبية لا تهدأ ليلاً أو نهارًا. فيها تستمتع بمشاهدة عروض مشوقة للمهرجين، وعازفي الآلات الموسيقية التراثية، ومروضي الأفاعي"[1].

والكاتب قضى ثلاث سنوات في المغرب خلال إعداد أطروحة الدكتوراه في اللغة العربية عن أدب الطفل في جامعة محمد الخامس في الرباط بالمغرب. وقد طاف الكاتب في أرجاء المغرب بدءاً من مدينة الرباط وسلا شالة، وصولاً إلى بني ملال ومراكش، ثم شرقاً إلى مدينة أفران، ثم فاس، فمكناس، ثم وجدة، وطنجة. وقد أتاحت له هذه الجولة التعرف إلى تلك المدن وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم، وهو ما سجله في كتابه بتفصيل لا يخلو من الإكبار والإعجاب بتلك المدن وأهلها.

٥.١. التمسك بشعائر الدين الإسلامي

أول ما يلفت نظر الكاتب في أهل المغرب، خلافاً للصورة النمطية المرتبطة في أذهان المشارقة عنهم، هو ارتباطهم بالدين الإسلامي وتمسكهم به. فنجده يصف عاداتهم وتقاليدهم في يوم الجمعة وفي رمضان بإعجاب وإكبار شديد. يقول الكاتب عن

←←←

دبي، ٢٠١٣م، ص ١٥٣

[1] – المرجع السابق، ص ٦٩

تقاليد يوم الجمعة في المغرب: "فجموع المصلين تتوافد منذ الساعات الأولى، وتلاوة القرآن الجماعية تعطر أجواء المسجد، وصدى التلاوة يتردد في باحاته المفتوحة، والأذان يرفع في المسجد الواحد أربع مرات وربما خمساً !!، والإمام حين يصعد المنبر فإنه يبهرك بملابسه التي ترى فيها ألقاً خاصاً ورونقاً مميزاً"(١).

أما رمضان المغرب فهو متميز جداً، في نظر الكاتب، لدرجة أنه يجعل المغرب المكان المفضل لديه لقضاء رمضان، بعد الحرمين الشريفين: "إذا ما استثنيت الحرمين الشريفين، فلو قدر لي أن أختار بقعة أقضي فيها شهر رمضان لما عدلت عن المغرب"(٢). ويفصل في شرح سبب هذا التفضيل بعقد موازنة بين عادات أهل المشرق وأهل المغرب في استقبال شهر رمضان، فيقول موازناً بين استقبال نساء المشرق ونساء المغرب لرمضان: "ففي حين تمضي بعض النساء الخليجيات العشر الأواخر من رمضان وربما الأواسط والأوائل منه في البحث عن فستان مناسب للعيد، فإن المرأة المغربية تستعد من بداية شعبان لاستقبال شهر رمضان بخياطة الفستان المغربي الساتر المناسب لأداء صلاة التراويح"(٣).

ويوازن بين استقبال رجال المشرق ورجال المغرب لرمضان، قائلاً: "وفي حين يسعى بعض الرجال الخليجيين لشراء أثاث جديد للمجالس والديوانيات ونصب الخيم الرمضانية، وتجهيز ملعب الكرة الطائرة بالقرب من المجلس، فإن المغربي يسعى لشراء نسخة جديدة من المصحف يضعها في جيبه ويحرص على القراءة منها وختمها"(٤).

كما يوازن بين اهتمام الإعلام المشرقي والمغربي بالمسلسلات في رمضان، فيقول:

---

(١) – المرجع السابق، ص ١٢٠

(٢) – المرجع السابق، ص ١٢٨

(٣) – المرجع السابق، ص ن

(٤) – المرجع السابق، ص ن

"وفي حين تهجم علينا المسلسلات الرمضانية المحلية أو القادمة من سوريا ومصر والكويت، ونشاهد الإعلانات ملأت الشوارع وصفحات الجرائد، وفرضت نفسها على الناس فرضاً قبل دخول شهر الصيام بفترة طويلة، فإنك لا تكاد تشعر بمثل هذه الثقافة في المغرب"(١).

ويوازن ـ أيضًا ـ بين إقبال المغاربة على العبادات في رمضان، وفتور المشارقة، حيث "تضج بعض مساجدنا في الخليج بأصوات الشجار بين المصلين والإمام بسبب إطالته لصلاة التراويح"(٢)، أما في المغرب "فالمصلون بشكل عام لا يتذمرون من إطالة الصلاة، بل إنهم يقبلون على المساجد في هذا الشهر بشكل يفوق غيره بشكل كبير لدرجة أن المساجد تمتلئ بالمصلين، وتغص بهم الشوارع المحيطة بالمسجد"(٣).

ومن الاختلاف بين المشرق والمغرب كثرة الدروس الدينية في رمضان، يقول الكاتب: "ومن التقاليد المغربية ما يسمى بالدروس الحسنية الرمضانية، ...، وهي عبارة عن سلسلة من الدروس اليومية تقام خلال شهر رمضان، وبعضها يحظى برئاسة الملك وليس بمجرد حضوره، خاصة إذا كان الضيف المحاضر ذا شخصية معتبرة ومقدرة ولها ثقل ديني"(٤). ولا يقتصر تقديم تلك الدروس على العلماء من الرجال فقط، بل تشارك فيه المرأة أيضاً، "فذات مرة قدمت امرأة الدرس في المسجد بحضور الملك وفتحت الباب لدخول المرأة هذا المجال"(٥).

ولا ينسى الكاتب وهو يسجل هذه الصفات الإيجابية في المغاربة، وهي تمسكهم

---

(١) – المرجع السابق، ص٩١٢

(٢) – المرجع السابق، ص ١٢٩

(٣) – المرجع السابق، ص ١٢٩

(٤) – المرجع السابق، ص ١٣٠

(٥) – المرجع السابق، ص ن

بالدين، لا ينسى أن يذكر الصورة السلبية المقابلة، وهي كثرة من لا يلتزمون بشعائر الدين، فيقول عن طقوس يوم الجمعة "وعلى الرغم من تساوي أعداد الجالسين في المسجد مع الجالسين في المقاهي، إلا أنه مع ذلك يبقى يوماً مشهوداً"(١).

٥.٢. الكرم والشهامة

من الصفات الإيجابية التي بهرت الكاتب في الشخصية المغربية، هو كرمهم وشهامتهم، وحبهم للغريب. وقد تحدث الكاتب بتأثر شديد كيف أن الدكتور المشرف على أطروحته أصر على أن يقيم حفلاً له في منزله بمناسبة حصوله على الدكتوراه في لمسة إنسانية رائعة تركت أثرها البالغ في نفسه، حيث قال له: "ما دمت مصراً، فأنا لا أقبل أن تكون هذه الوليمة في الفندق، فنحن عرب، وبيوتنا موجودة، سوف تكون الضيافة في منزلي، فلا تشغل نفسك بأمرها"(٢).

ويصف كرم أهل وجدة التي حضر فيها مؤتمراً عن اللغة العربية، قائلاً: "قضينا أياماً في ضيافة الكرم الوجدي، فالوجديون أصيلون في طبائعهم، فلم تسمح لهم أصالتهم بأن يتركوا للفندق الجميل الذي أقمنا فيه أن يتكفل بالوجبات، ...، وحملهم الكرم الزائد والمبالغة في الإكرام أن جعلوا وجبات الضيافة خارج الفندق، ليس في المطاعم بل في البيوت المغربية الجميلة، نعم في البيوت، فقد استضافنا طيلة أيام المؤتمر تجار وجدة ووجهائها وأعيانها وكبار مسؤوليها ممن ساهموا في رعاية المؤتمر"(٣).

ومن مظاهر كرمهم أنهم لا يقدمون الأطباق كلها دفعة واحدة، "فما أن تنتهي من الطبق الأول حتى يأتيك طبق ثان، وثالث، ورابع، وربما خامس وسادس. هذا إذا

---

(١) – المرجع السابق، ص ١٢٠

(٢) – المرجع السابق، ص ١٥٢

(٣) – المرجع السابق، ص ١١٠

استثنيت طبق المقبلات وطبق الحلويات، والمشكلة التي تواجه من لا يعرف هذه التقاليد أنه قد يملأ بطنه من أول طبق دون أن يترك مكاناً للأطباق اللاحقة. أما من اعتاد على ذلك فإنه يمكنه أن يعرف عدد الوجبات المقدمة من خلال عدد المفارش التي توضع على الطاولة، وهذا سر لا يبوح به المغاربة لأحد "[١].

ويخصص فصلاً للحديث عن الشاي الأخضر المغربي "الأتاي"[٢]، بل يجعل عنوان كتابه "سرد الأتاي"، فهو مرتبط ارتباطاً عميقاً بالهُوية المغربية. ومن مظاهر الكرم المغربي أنك حين "تطلب شاياً يحضر لك إبريقاً كاملاً مع كأس فارغ، وإذا كنتما اثنان فإبريقين مع كأسين، أما أن تطلب إبريقاً واحداً مع كأسين – من باب التوفير مثلاً – فهذا أمر محظور وممنوع و«ما كاينش»"[٣]. وقد كان الكاتب يعجب من هذا الأمر في البداية، ويعده "عادة مقيتة"، ولكنه "مع مرور الزمن وتأصل الإدمان في دمي فقد صرت أطلب إبريقين وكأساً"[٤].

٥.٣. وصف اللهجة المغربية

يتحدث الكاتب بإيجابية عن الدارجة المغربية، فيقول: "إن لغتهم لا تخلو من فصاحة وجزالة في الألفاظ، وأرى شخصياً أن لفظة ولوج المستخدمة على اللوحات الإرشادية أفصح من كلمة دخول، كما أني أفضل كلمتي عامرة وخاوية المستخدمة في الفنادق لوصف الغرفة الفارغة والمشغولة. وأحس أن كلمة أداء المستخدمة في الدوائر الحكومية للدلالة على تحصيل الرسوم أكثر ذوقاً من كلمة دفع، وأجزم أن كلمة تخفيض

---

[١] – المرجع السابق، ص ص ١١٠–١١١

[٢] – المرجع السابق، ص ص ١٣٣–١٣٧

[٣] – المرجع السابق، ص ١٣٧

[٤] – المرجع السابق، ص ن

المستخدمة في الخطاب الإعلاني أصح من الكلمتين البغيضتين اللتين نستخدمهما في الخليج حسم وخصم فالأولى تحمل معنى البت في الأمر، والثاني تحمل معنى الخصومة، ولذا فلا عجب أن نرى في أسواقنا خصومات كبرى!!!"[١]. ويقول أيضًا: "ومن الفصيح الجميل كلمة الإشهار بمعنى الإعلان ولا أكاد أرى للكلمة الثانية استخدامًا في المغرب، بل لا أراهم يتقبلونها، وهذه سمة عامة لديهم – أعني عدم تقبل المصطلحات الجديدة " [٢].

وإن كان قد أطال في وصف غرابة الدارجة المغربية، وذكر أمثلة من هذه الغرابة، يقول: "أصعب ما في المغرب الدارجة المغربية، وهي على درجة من الصعوبة يعجب منها المغاربة أنفسهم، فإذا تجاوزت مزيان بالزاف التي صارت مشهورة وعلامة على غرابة اللهجة المغربية، فسوف تواجهك كلمة ديال التي أتحدى من يسمعها للمرة الأولى أن يخمن معناها"[٣].

ويذكر أمثلة من هذه الصعوبة، قائلاً: "وكيف لك أن تفسر أن الرقم ٢ لا ينطق اثنان أبداً عندهم، بل يقولون جوج، وظننتها فرنسية أو أمازيغية، فقيل لي بحزم: لا علاقة للفرنسية أو الأمازيغية بها، بل هي عربية، وظننتها عامية محضة فعجبت حين سمعت أساتذة اللغة العربية في مناقشة رسائل الدكتوراة يقولون للطالب: افتح الصفحة خمسمئة وجوج أو يقولون مثلا لقد ذكرت في النقطة جوج. سألتهم عن تخريجها، فلا من مجيب، فاجتهدت وفسرتها بأنها من كلمة زوج الدالة على الاثنين"[٤].

ولا يخلو أسلوبه من طرافة، وهو يورد أمثلة أخرى للكلمات الغريبة عليه: "ومثلها في

---

[١] – المرجع السابق، ص ١١٤

[٢] – المرجع السابق، ص ١١٦

[٣] – المرجع السابق، ص ١١٤

[٤] – المرجع السابق، ص ن

الغرابة كلمة أعيّط عليك وأول ما سمعتها من أستاذي المشرف على الرسالة الدكتور قاسم الحسيني، حين قال لي أعيط عليك فامتلأ قلبي فزعاً إلى أن عرفت أن معناها: اتصل بك، وأغرب منها كلمة دابا وتعني الآن. أما إش حال فليست للسؤال عن الحال، ولكنها للسؤال عن العدد فمعناها كم؟"[١].

وفي ثنايا الكتاب يورد الكاتب كثيراً من المواقف الطريفة التي تعرض لها بسبب عدم معرفته باللهجة المغربية، فمنذ ذلك قوله: "دخلنا منتجع عين أسردون و شهدنا ازدحاماً شديداً، وقد أرهقني البحث عن موقف للسيارة، وأزعجني الشباب المنتشرون على جانبي الطريق يعرضون علي بلاصه، ولم أكن في مزاج يسمح لي بالسؤال عن هذه الأكلة إلا أن ابنتي الكبرى أصرت على معرفة معنى كلمة بلاصة، فاضطررت للوقوف عند أحدهم، وبعد لأي وشرح وترجمة وتصريف واشتقاق وإشارات وإيماءات عرفنا أن بلاصة تعني مكان وقوف السيارة !! يا إلهي هذا ما نبحث عنه"[٢].

ويورد بعض الأمثلة على اختلاف المدلول لبعض الكلمات بين المشرق والمغرب، فيقول: "وإياك ثم إياك أن تجلس في المقهى وتطلب عصير الليمون، لأنه سوف يحضر لك عصير البرتقال، فلا وجود لكلمة الليمون عندهم إلا للدلالة على البرتقال، عندها قد تتساءل فكيف يطلبون عصير الليمون هذا ما سألته لأحدهم فقال: قل عصير الحامض"[٣].

ومثلها كلمة العافية التي يختلف مدلولها عند المغاربة عنه عند المشارقة، فحين حضر حفلة عرس مغربي طُلب منه إلقاء كلمة، يقول: "فتوكلت على الله، وبدأت بالدعاء للزوج ولصاحب الوليمة ولمن حضر بأن يرزقهم الله الصحة والعافية!! فلكزني

---

[١] – المرجع السابق، ص ن

[٢] – المرجع السابق، ص ٦٧

[٣] – المرجع السابق، ص ١١٥

صاحبي ورمقتني الأعين مستنكرة، فقلت مستدركاً على طريقة العلماء المحدثين المدققين: والعافية هنا على اصطلاح المشارقة لا المغاربة. فارتجت القاعة من الضحك"[١]. فالعافية تعني عندهم النار[٢].

ومن المظاهر السلبية التي رصدها الكاتب فيما يتعلق باللهجة الدارجة، قوله: "وتعبير حال بحال أو كيف بكيف تعني الشيء نفسه، أو بتعبيرنا في الإمارات كله واحد، تسأل: هل آتيك صباحاً أم مساء؟ فيقول: حال بحال. ومن الطرائف المخزية أو المخازي الطريفة أنه قد أشهرت في المملكة المغربية جماعة للشواذ جنسياً أسمت نفسها كيف بكيف. الخزي في الفعل والطرافة في الاسم!!" [٣].

٥.٤. جودة الصناعة المغربية

ومن الجوانب الإيجابية التي لفتت نظر الكاتب، وجود الصناعات المحلية المتنوعة المتقنة. يقول الكاتب واصفاً الصناعات التقليدية في مدينة فاس: "لولا المبالغة لقلت إن من يعمل في هذه الصناعات بالمدينة العتيقة ليسوا بشراً، وإنما سحرة مهرة. الخزف الفاسي ليس له مثيل لا لوناً ولا جودة، فمن حيث اللون فإن الزرقة الكوبالتية الشهيرة علامة ينفرد بها الخزف الفاسي، ومن حيث الجودة فإن أجمل خزفيات المغرب تأتي من هذه المدينة التاريخية. إن من الممتع أن تراقب عملية طهي الفخار لمدة ٢٤ ساعة قبل أن يتم تبريده على مهل ثم بعد ذلك يغطى بطلاء خزفي أبيض، ومن ثم يستلمه الصناع المهرة الذين يرسمون وروداً أو أشكالاً هندسية باستعمال فرشاة رقيقة. وتوضع القطعة الملونة مرة أخرى في الفرن قصد إضفاء البريق على الطلاء.. وللحصول على ذلك اللون الأزرق يقوم الصناع بخلط العديد من المكونات التي يحتفظ الصناع

---

[١] – المرجع السابق، ص ١١٨

[٢] – المرجع السابق، ص ن

[٣] – المرجع السابق، ص ١١٥

التقليديون بسر مقاديرها. وإلى جانب هذا اللون الأزرق الغالب يضاف الأخضر أو الأصفر أحيانا"[١].

ويصف إتقانهم فن النجارة قائلاً: "أما الخشب فإن إبداعاته تظهر في سوق النجارين، حيث تلمس الجمال في المشربيات المتقاطعة في الطاولات والكراسي. أما القطع المنقوشة فجرت العادة أن تستعمل خصوصًا في ألواح الأبواب و النوافذ. وتستخدم في صناعة الأثاث أخشاب أشجار الأرز والصندل والأرغان والصنوبر والبلوط"[٢]. ويتحدث عن معامل الأقمشة: "وهناك أيضاً معامل الأقمشة التي تنتج أجمل الملابس المغربية الشهيرة " [٣].

ويتحدث عن المصنوعات الجلدية بإعجاب شديد، قائلاً: "إن الحقائب والأحذية والسترات وغيرها من المنتوجات الجلدية التي تملأ الأسواق المغربية وتقتنى لجودتها أو لمجرد الذكرى قد مرت من هذا المكان، ولذا حين استنكفت بنتاي مريم وعلياء عن الدخول بسبب الرائحة زاد إصراري على دخولهن ليرين الجهد المبذول في الحذاء الذي يلبسنه أو الحقيبة التي يحملنها ويتفاخرن بها، فيقدرن الجهد المبذول في النعم التي تصلنا دون عناء منا. ولو سئلت عن أجمل ما رأيت في فاس لقلت أنها أحواض الدباغة بألوانها المختلفة، فهي صورة جمالية لا أظنها تمحى من ذاكرتي"[٤].

٥.٥. النظام السياسي

بالرغم من أن الكاتب كان يبتعد عن تناول القضايا السياسية في كتابه، وحين بدأ أحد الجزائريين "يصب غضبه على غباء الساسة وهلوسات العسكر وترهات الأحزاب"

---

[١] – المرجع السابق، ص ٨١

[٢] – المرجع السابق، ص ن

[٣] – المرجع السابق، ص ٨٢

[٤] – المرجع السابق، ص ن

[١]، تصنع الكاتب التثاؤب وانسحب من الحديث متجهاً إلى الغرفة، "فقد أتيت هنا للراحة والسياحة والدراسة وليس للحديث في السياسة"[٢]، إلا أننا نجده يمتدح النظام السياسي المغربي القائم على الديمقراطية الناضجة، كما أسماها، الذي يسمح بتنظيم "المظاهرات الأسبوعية لخريجي الجامعات من العاطلين عن العمل ممن كانوا يرفعون شعارات تنادي بوقف هدر الطاقات المعطلة، أو تحسين الأجور، وغيرها من الشعارات التي ترتفع بها الأصوات، وترفع على اللافتات"[٣]. ويرى الكاتب أن السماح بهذه المظاهرات "المرخصة من الجهات الأمنية، والمحاطة بالشرطة وجهاز حماية الأمن المدرع بالملابس الواقية وأدوات مكافحة الشغب"[٤]، يرى أنها كانت السبب في حماية المغرب من الثورات التي شهدتها كل من تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، فيما عرف بالربيع العربي[٥].

٥.٦. المرأة المغربية

تحدث الكاتب بإيجابية عن المرأة المغربية، وذكر من صفاتها الإيجابية ما ينفي الصورة النمطية المستقرة في أذهان المشارقة عنها. ومن الصفات الإيجابية التي ذكرها عن المرأة المغربية ذكاءها وسرعة إتقانها للهجات العربية الأخرى، يقول في ذلك: "فإنني أزعم أن المرأة المغربية أكثر تقبلاً وإتقاناً للهجة الأخرى خليجية كانت أو مصرية من الرجل المغربي، فسرعان ما يستقيم لسانها على اللهجة فتتحدث بها فلا تكاد تميز المرأة المغربية عن المصرية أو الإماراتية، وأسألوا إن شئتم من تزوج مغربية من

---

[١] – المرجع السابق، ص١٠٣

[٢] – المرجع السابق، ص ن

[٣] – المرجع السابق، ص ١٢١

[٤] – المرجع السابق، ص ن

[٥] – المرجع السابق، ص ن

الإماراتيين، أو من شاهد المغربيات يغنين أو يمثلن في المسلسلات المصرية. أما الرجل المغربي فإنك تعاني منه الأمرين خاصة إذا كان نادلاً في مطعم، فهو يحضر لك قائمة الطعام مكتوبة بالفرنسية، ويشرحها بالمغربية فلا تفهم شيئاً، فيعود لشرحها بالفرنسية ويستغرب أنك لم تفهم"[١]. ونفى ما يشاع عن النساء المغربيات في "وسائل الإعلام التي تمارس دوراً سلبياً في إفساد العلاقة بين الشعوب وإثارة النعرات والخلافات وتقديم صورة نمطية سلبية عن شعوب معينة" [٢]، مشيراً إلى "مسلسل رمضاني كويتي أثار ضجة وأزمة وصلت إلى المستوى الدبلوماسي بين المغرب والكويت، فقد صور المسلسل النساء المغربيات كساحرات يسرقن الرجال الكويتين من زوجاتهن بالشعوذة".[٣]

ولا ينسى الكاتب أن يشير إلى بعض الصفات السلبية في بعض الفتيات والتحذير من "فتنة الغيد الحسان وسحرهن ونسجهن لحبائلهن إن عرفن بهوية الشخص الخليجي"[٤].

٥.٧. مظاهر سلبية

ومن الصفات السلبية التي رصدها الكاتب، تحرش بعض رجال الشرطة بالسياح لأخذ أموالهم، وفي ذلك يقول: "وقد كان نزولي سبباً للفت انتباه رجل أمن إلينا، إذا أنه بعد أن ركبنا جاء إلينا ليصادر الكاميرا زاعماً أننا صورنا أسوار القصر الملكي المتاخم للقبر. رفضت فحاول قائد الكوتشي أن يتدخل قائلا بهمس: أعطه خمسين. جاءتني هذه الهمسة فرجاً من السماء، إذ التفت إليه ونهرته قائلاً: ماذا تقول ؟؟ أعرض عليه رشوة؟؟ هل تعلم أن هذه جريمة كبرى في حق الملك؟ إياك أن تتكلم بهذا الكلام مرة

---

[١] – المرجع السابق، ص١٠٤

[٢] – المرجع السابق، ص١٢٨

[٣] – المرجع السابق، ص ن

[٤] – المرجع السابق، ص ١٢٢

أخرى وإلا نزلت من عندك؟ رفعت صوتي بهذا الكلام ثم التفت إلى الشرطي فلم أجده"[١].

ومن الأفعال السلبية التي رصدها الكاتب ما يفعله بعض الأهالي للاحتيال على السياح، يقول: "بعد مغادرة هذه الشجرة عليك أن تهيئ نفسك لطريق وعر جداً، يزيد من وعورة الطريق المطبات التي تستوقفك كل خمس دقائق وتظن أنها بسبب الأمطار أو المياه المتفجرة من جوانب الجبال خاصة حين ترى بجانبها صبية أو رجالاً يحملون مجارفهم ويشمرون بأيديهم لتسوية الطريق، فتضطر للوقوف ورد التحية وتوجيه الشكر وتقديم ما تجود به نفسك، ولكنك ما أن تبتعد عنهم حتى تكتشف من خلال نظرة في المرآة أنهم محتالون صنعوا هذه المطبات ليصطادوا بهم السياح"[٢] .

ومن المظاهر السلبية الأخرى التي رصدها الكاتب، من وجهة نظره، أن "ثمة مدينة ألعاب مائية كانت ضمن مخطط الاستراحة، ما أن دخلناها حتى بدأت بالبحث عن شباك لشراء تذاكر الدخول إلى القسم المائي، سألت أحد العاملين فأرشدني فلما هممت بالتحرك، رأى الأسرة معي فاستوقفني ناصحاً أن ألقي نظرة قبل أن أشتري التذاكر، أوقفت السيارة ودخلت، ويا لهول ما رأيت فقررت الانصراف شاكراً لهذا المغربي الشهم نصيحته، ولا تسألني ما رأيت: قد كان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر"[٣].

ومن المظاهر السلبية التي رصدها أيضًا، من وجهة نظره، قوله، موازناً بين حفلات الافتتاح في المشرق ونظيراتها في المغرب في سخرية لاذعة: "عندنا في المشرق شريط أحمر، ومقص على وسادة، وكاميرا وصحافة، ثم يتم الافتتاح، أما في المغرب فإن

---

[١] – المرجع السابق، ص ٧١

[٢] – المرجع السابق، ص٧٧

[٣] – المرجع السابق، ص ٩٣

مراسم الاحتفالات الرسمية مختلفة بشكل كبير، فالكلمات كثيرة وطويلة، ولو قدر لك أن تحضر حفلاً يشترك في تنظيمه ثلاث جهات، ويرعاه راع رسمي، بدعم معنوي من أربع مؤسسات حكومية، وبدعم مادي من خمس شركات تجارية، وبحضور شخصية رسمية وأخرى اجتماعية وثالثة لا علاقة لها بالموضوع مثلي تماماً فعليك أن تهيئ نفسك لسماع سبع عشر كلمة"[١].

٦. الخصائص الأدبية لكتاب "سرد الأتاي"

صاغ الكاتب كتابه بأسلوب أدبي سلس وممتع، وعبارات أدبية رائعة، تحمل الكثير من الاستعارات الجميلة، دون تكلف، كما في قوله، واصفاً إخباره لأسرته أنه سيصطحبهم معه إلى المغرب: "كانت مفاجأة سارة لأم راشد، وللجنين الذي في بطنها، إذ لم أكن لأضيف إلى اكتئاب الحمل، قساوة ثلاثة شهور من تناهش الأفكار والوساوس التي تدخلها في رأسها نساء الحي والجارات والقريبات والصديقات والأخوات الناصحات الشفيقات: «ثلاثة شهور!! بالتأكيد إنه متزوج هناك، مسكينة أنت وغافلة، تحملين وتلدين وتربين العيال في هذا الصيف اللاهب، وهو في أحضان المغربية يطلب الدفء والحنان»"[٢]. ومن الأساليب التي استخدمها الكاتب أسلوب المفارقة، وذلك عند ذكر بعض المواقف الطريفة التي ترسم الابتسامة على وجه القارئ. فمن ذلك قوله، عند حديثه عن مروره بمدينة تطوان مع أسرته: "ذكرت لعيالي ما رواه الرقيق القيرواني في «تاريخ أفريقية والمغرب» من أن عقبة بن نافع ... أصاب نساءً لم يَر الناس مثلهن. فقيل: إن الجارية كانت تساوي بالمشرق ألف مثقال وأكثر وأقل. ثم عقبتُ قائلاً: كما أن بنات المنصورة مضرب الجمال في مصر، فإن بنات تطوان هن الأجمل من بين بنات المغرب. هذا ما قيل، المهم أن وزارة الداخلية قررت ألا ندخل تطوان أبداً. ومنها تعلمت

---

[١] – المرجع السابق، ص ص ١٠٥-١٠٦، الصحيح أنها (١٦ كلمة

[٢] – المرجع السابق، ص ٥٨

درساً أنه ليس كل ما يعرف يقال"[١]. وقوله، حين سافر إلى وجدة لحضور مؤتمر اللغة العربية: "في الفندق قال لي السروتي: مرحباً بأهل الإمارات، قدومك يا دكتور علي بركة علينا، وإن كنا بانتظار ثلاثة أساتذة آخرين من الإمارات ...، ولكنهم اعتذروا في اللحظة الأخيرة، هل تعرف السبب؟ قلت: نعم، لقد نظروا إلى الخريطة!! أثارت هذه الدعابة الجو وضحكنا من قلوبنا ضحكاً أزال عناء هذه الرحلة، وقال لي السروتي: أؤكد لك يا أستاذ أنك لن تندم على عدم نظرك إلى الخريطة"[٢].

وقد حفل النص بالعديد من التشبيهات والاستعارات، فمن التشبيهات قوله: "شفشاون الأندلس الصغيرة"[٣]، وقوله: "سويسرا المغرب إيفران"[٤]، ومن الاستعارات التشخيصية قوله: "أسوار الرباط تنبيك عن بناة الممالك والدول"[٥]، فقد جعل الأسوار شخصاً يتحدث ويروي تاريخ الممالك والدول، وكذلك قوله: "ودعانا جامع القرويين فأجبنا"[٦]، وقوله: "المغرب تناديك"[٧]، فقد جعل الجامع والمغرب أشخاصاً تنادي فتُلبى.

---

[١] – المرجع السابق، ص ٩٧
[٢] – المرجع السابق، ص ١٠٢
[٣] – المرجع السابق، ص ٩٨
[٤] – المرجع السابق، ص ٧٤
[٥] – المرجع السابق، ص ٣٥
[٦] – المرجع السابق، ص ٨٠
[٧] – المرجع السابق، ص ١٥

٧. خاتمة

لقد اجتهد الكاتب في أن يقدم صورة مغايرة عن المغرب، وأن يصحح كثيراً من الإدعاءات الباطلة عن الشخصية المغربية. وقد رصد الكاتب العديد من المظاهر الإيجابية التي رآها مثل طقوس يوم الجمعة وشهر رمضان، والكرم المغربي البالغ، وجودة صناعتهم، وتحدث بإكبار عن المرأة المغربية والتزامها بدينها، وشرفها. وأشار إلى بعض المظاهر السلبية التي رآها مثل احتيال بعض الأهالي على السياح، وعدم التزام البعض بالتقيد بشعائر الإسلام، وهي مظاهر لا يخلو منها أي بلد مسلم إلا من سلّم الله. وجاءت رحلته، كما أراد لها، "شهادة حق في المغرب".

المصادر والمراجع:

١. بلعربي، جمال: التعبير عن الأنا من خلال وصف الآخر في أدب الرحلة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج ٩، ع ٤، السنة ٢٠٢٠م، ص ص ٣٧٥-٣٩٠
٢. حمود، خضر موسى محمد: أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م
٣. حميد، بن حاج أحمد، يوسف، أحمد: أدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات، رحلة الحسين الوثيلاني أنموذجاً، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري، إسراف الدكتور كيلاني مسعود، جامعة أحمد دراية-أدرار، الجزائر، ٢٠٢١م
٤. داود، هناء: صورة الآخر في أدب الرحلة، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة أنموذجا، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٨، ع ١، أفريل ٢٠٢٤م، ص ص ١٤٦-١٥٦
٥. روباش، جميلة: أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، إشراف الأستاذ الدكتور أمحمد بن لخضر فورار، ٢٠١٥م
٦. عبد القادر، علي: سرد الأتاي، رحلة خليجي في المغرب، مركز القارئ العربي للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠١٣م.
٧. العبيدي، ليلى: ملامح من صورة الآخر في نماذج من أدب الرحلة القديم، مجلة فصل الخطاب، مج ١١، ع ١، مارس ٢٠٢٢م، ص ص ١٣٥-١٥٦
٨. الهجلة، نايف بن رشدان بن عتيق: شعرية خطاب الرحلة في السرد المعاصر: "سرد الأتاي" للكاتب الإماراتي علي عبد القادر أنموذجاً، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا-جامعة الأزهر، مج ٢٦، ج ٤ ديسمبر، ٢٠٢٢م، ص ص ٤١٨٥-٤٢٣٢